حرب سباق الخيل

كان ذلك بين بنى عبس وبنى فزارة بسبب داحس فرس قوس بن زُهَير بن جذيمة العبسى والغبراءِ فرس حُذَيفة بن بدر الفزارى وذلك أن رجلًا من بنى عبس يقال له قرواش بن هانيء كان يناظر حَمَل بن بدراخا حذيفة فى داحس والغبراء فقال حمل الغبرءُ أجود وقال قرواش داحس أجود فتراهنا عليهما بعشرةٍ من الإبل وأتى قرواش إلى قميس بن زهير ناخبرهُ فقال له قيس راهن من شئت ودعنى من بنى بدر فإنهم قومٌ يظلمون لقدرتهم على الناس فى أنفسهم وأنا أبى عزيز النفس فقال فرواش أنى قد أوجبت الرهان فقال قيس ويلك قد استرت لشام أهل بيت والله تضر منَّ علينا نارا ثم أن قيسًا قد حمل بن بدر وقال أنى قد تيتك لأُواضعك الرهان فقال لاأواضعك أو تجيء بالعشرة فإن أخذتها أخذت سبقى بلغ بها قيسٌ إلى المايةِ وضع السبق على يد غلاق أحد بنى ثعلبة بن سعد وجعل الغاية ماية غلوةٍ فضمروا الفرسين أربعين ليلة وعطَّشوهما وجعلوا السابق منهما الذى يرد غدير ذات الأصاد وهو غاية المضمار فلما أراد والسباق أكمن حملٌ فى الغاية ثم أرسلوهما كريان فلما لمعنا فى جريهما بزَّز داحس حتى انتهى إلى الكمين فوثب إليهِ دشيرٌ ولطم وجههُ فردَّهُ عن الغاية وفى ذلك يقول قيس:

كما لاقيت من حمل بن بدرٍ ... وأخوتهِ على ذات الأرصاد

همُ فخروا على بغير فخرٍ ... وردوا دون غلبتهِ جوادي

وطلب قيس السبق من حذيفة فأنكر عليهِ فقال الذى وضعا السبق على يديه لحذيفة أن قيسًا قد سبق وإنما أردت أن يقال سبق حذيفة وقد قيل ذلك فادفع إليه

سبقه قال نعم وفدع إليه الإبل التى عقد الرهان عليها ثم أن عركى بن عُمَيرة وابن عمٍ له من فزارة أقبلا على حذيفة يندّمانهِ وقالا أن الناس قد رأوا سبق جوادك وليس كل الناس رأوا لطم جواد قيس فأعطوك السبق تحنيق لدعوى العبسيين فأطلب السبق فإنهم أقصر باعًا إلى مكرمةٍ بنفسهِ وإنما فرسٌ سبق آخر فما فى هذا حتى تدعى فى العرب ظلومًا قال إما إذا تكلمت فلابد من أخذه ثم بعث أبنهُ أبا قرفة إلى قيس يطلب السبق فلم يصادفهُ فقالت لهُ امرأتهُ أحبُ أنك صادفت قيسًا فرجع إلى أبيه وأخبرهُ بما قالت ارمأة إلهى وقال يقول أبى أعطنى السبق فيتناول قيس الرمح فطعنهُ فدق صلبهُ ورجعت فرسهُ غايرةً فاجتمع الناس على قيس واحتملوا دية اين حذيفة ماية عشراءَ فقبضها حذيفة وأنزلها قيس نزل اللقاطة وهى القرب من حى فزارة وكان قد اتخذ امرأةً من بنى فرارة فاتاها فبنى بها هناك وأخبر حذيفة بمكانهِ فسار إليه فى جماعة من قومهِ وقتلهُ وفى ذلك يقول عنترة بن شداد:

فللـه عينًـا مـن رأى مثـل مالـكٍ ... عقـيرة قـومٍ إن جـرى فَرَسَـانِ
فليتهمـا لم يجريـا نـصف غـوة ... وليتهمـا لم يرسـلا لرهـانِ
وليتهمـا كانـا جميعًـا ببلـدة ... وأحاطهمـا قـيس فـلا بريـان
فقـد جلبـا حينًـا وحربًـا عظيمـةً ... تبيـد سـراة القـوم مـن عطنـان
وكـان لـدى الهياسـجمى ذمارهـا ... وبطـن عنـد الكـرّ كـل طعـان
فقـد هـدّ ركنـى فقـدهُ ومـصابهُ ... وخـان فوالـذى ديـم الخفقـان
فـسوف تـرى أن كنـت بعـدك باقيـا ... وأمكننـى دهـرٌ وطـول زمـان
وأقـسم حقًـا لـو بقيـت لنظـرةٍ ... لقـرَّت بهـا عينـاك حـين ترانـي

وأتى بنو جذيمة إلى حذيفة فقالوا قد قتلتم لنا كما قتلنا لكم فردُّوا علينا الدية فأشار سنان بن أبى حارثة المرنى على حذيفة أن لا يرد المتاج معها فقال حذيفة أردُّ الإبل بأعيابها ولا أرد أولادها معها فأبوا أن يقبلوا ذلك فقال قيس بن زهير:

يـودُّ سـنانٌ لـو يحـارب قومنـا ... وفى الحرب تفريق الجماعة والقتلُ

يـــدبُّ ولا يخفـــى ليفـــسد بيننـــا ... ديبًـا مـا دبـت إل يحجرهـا النمـل
فيا أبنى بغيض راجعا السلم تسلما ... ولا تـشمتا الأعـداء بفـترق الـشمل
وإن ســبيل الحــرب وعــرٌ مــضلَّةٌ ... وإن ســبيل الــسلم آمنــةٌ ســهل

وكان الربيع بن زياد العبسى يومئذ مجاورًا بنى فزارة لمشاحنةٍ جرت بينه وبين قيس بن زهير فلما قتلوا مالك بن زهير قال الربيع بئسا فعلتم يا بنى فزارة قبلتم الدية ورضيتم ثم عدوتم على ابن عمكم وصهركم وجاركم فقتلتموه وغدرتم بقومكم قالوا لولا أنك جارٌ لنا لقتلناك فأخرج عنا ولك ثلاثة أيام فخرج الربيع واتبعوهُ فلم يدركوهُ حتى نحو بقومهِ وأخاه قيس بن زهير فصاحهُ ونزل معهُ ثم دسَّ أمةً لهُ يقال لها وعيَّة إلى الربيع تنظ ما يعمل فدخلت بين أبياتهِ وإذا امرأةٌ قد عرضت لهُ فدفعها وقال لجاريتهِ اسقينى فلما شرب أنشأ يقول:

منــع الرقــاد فمــا غمِّــض حــارِ ... مـن حـادئى النبـأ العظـيم الـساري
أفبعــد مقتــل مالــك بــن زهــيرٍ ... ترجــو النــساءُ عواقــب الأطهــار
مـا أن أرى فـى قتلـهِ لـذى النهـى ... إلا المطــــى تــــشدُّ بــــالأكوار
ومــساعرًا ضــدى الحديــد علــيهم ... فكأنمــا تطلــى الوجــوه بقــار
مــن كــان مــسرورًا بمقتــل مالــكِ ... فليــأتِ نــسوتنا بــصدر نهــار
مجــد النــساءَ حواســرًا يندبنــهُ ... يلطمــن لــوجهنَّ فــى الأســحار
قــد كــنَّ يخبــان الوجــوه تــسترًا ... فــالآن حــين بــدون المنظَّــار
يــضربن حــرَّ وجــوهنَّ علــى فتــىً ... عــفّ الــشمايل طيــب الأخبــار

فأتت رعيَّة قيسًا فأخبرتهُ خبر الربيع فقال أنتِ حرَّةٌ فأعتقها وقال قد وثقت بأبى المنصور ثم أنشا يقول:

فــإن لــك حــربكم أمــست عوانًــا ... فــإنى لم أكــن ممَّــن جناهــا
ولكــن وِلــدُ مــودة أَرَّثوهــا ... وحثّــوا نارهــا لمــن اصــطلاها

وإلى غـــير خـــاذلكم ولكـــن سأســعى الآن إذا بلغــت مــداها

ثم ثاد قيس بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان إل يبنى فزارة ورئيسهم إذ حذيفة بن بدر فالتقوا بذى المُرَيقب وانتشب بينهم القتال فقتل ارطاة أحد بنى عبس مالك بن عوف بن بدر وقتل عنترة بن شداد ضمضمًا ونفرًا ممن لا تعرف أسماؤهم وفى ذلك يقول عنترة:

لقـد خـشيت بـأن أمـوت ولم يكـن للحـرب دايـرةٌ علـى أبنـى ضمـضمِ
الــشاتمى عرضــى ولم اشــتمهما والنــادرين إذا لم القَهُمــا دمــي
أن يفعــلا فلقــد تركــت أباهمــا جــزر الــسباع وكــل نــسرٍ قــشعم

وقال:

ولقــد علمــت إذا التقــت فرســاننا بلــوى المريقــب أن ظنــك أحمــقُ

ثم أن بنى ذبيان تجمعوا لما اصاب منهم بنو عبس من أصابوا فغزوا بنى عبس ورئيسهم حذيفة بن بدر ورئيس بنى عبس وحلفايهم الربيع بن زياد فالتقوا بذى حسى وهو وغدٍ فى أعلاهُ فاشار قيس على الربيع بن زياد أن يباكرهم وخاف الربيع إن قاتلوهم أن لا يقوموا لهم فقال أنهم لا يجتمعون كل حينٍ هذا لهو أبسر من قتل الاباء فأنساغ قيس إلى رأيه وقال يا بنى ذبيان خذوا منا رهاين ما تطلبون إلى أن تنظروا فيما بيننا ولا تعجلوا إلى الحرب فليس كل كثير غالبًا وضعوا الرهاين عند من نتراضى عليه فقبلوا وتراضوا أن نكون الرهاين عند سبيع بن عمرو التغلبى فدفعوا إليه عدة من صبيانهم وكفَّ الفريقان عن القتال فمكشت الصبيان عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنهِ أن عندك مكرمةً لا بيد أن احتفظت بهؤلاء الغلمان وأخشى إذا متُّ أن يأتيك خالك حذيفة فيخدعك عنهم فأدفع إلى هؤلاء الصبيان يكونون عندى إلى أن ننظر فى أمرنا ولم يزل بهِ حتى دفعهم إليهِ فلما صاروا عنه أتى بهم إلى البعمرية غلام منههم فينصبه غرضًا ويقول لهُ نادِ أباك فينادى أباهُ فيرميهِ بالسهام حتى يخرقهُ فإن مات من يومهِ ذلك وإلا تركه إلى الغد وقتلوا منهم

أثنى عشر رجلًا منهم عركى بن عميرة الذى اشار على حذيفة باسترداد السبق من قيس بن زهير ومالك بن سبيع الذى سلَّم الغلمان إلى حذيفة وأخوه يزيد بن سبيع وفى ذلك يقول عنترة:

سائل حذيفة حين أضرم بيننا ... حربًا ذوابيها بموت بتخفقُ
وأسأل عميرة حين أجلت خيلها ... متصاغرين بأى حى سحقُ

ثم أنهم تجمعوا فالتقوا إلى جانب الهباة فى يوم شيد الحر فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى انتصف النهار وحجز بينهم الحر وكان حذيفة ناعم البدن يحرق الكروب فخذيهِ فلما تجاجز أقبل ومكثوا عندهم حينًا من الدهر وكانت لهم خيل عناق وإبلٌ كرام فرغبت بنو سعد فيها وهموا أن يغدروا بهم فتقدموا إلى جندك وتقسم لنا من غنايمك فأجابهم وان فى بنى عبس امرأة من بنى سعد فأتى أهلها ليضموها إليهم وأخبروها الخبرة انذرت بهِ زوجها فأتى قيسًا فأخبرهُ فأجمعوا أن يرتحلوا بالظعاين وما قوى من الأموال من أول الليل ويتركوا النار فى البرية فلا ينكر عليهم وتقدَّم الفرسان إلى الفريق وهو وادٍ بين اليمامة والبحرين فوقفوا دون الظعن بين الفروق وسف فى وجه الصبح فوجدوا المنزل خلاء فاتبعوهم على الخيل حتى أدركوهم بالفروق فقاتلوهم يومًا مطردًا إلى الليل فانهزمت بنو سعد وقتل عنترة ذلك اليوم معاوية بن نزال جد الأحنف وسارت فرسان عبس بعد ذلك حتى لحقوا بالظعن وساروا ثلثة أيام بلياليها حتى قالت ابنة قيس بن زهير لأبيها يا أبتاه هل تسير الأرض فعلم أنهُ قد بلغ منها الجهد فقال أنيخوا فأنا خوا ثم ارتحلوا وفى ذلك يقول عنترة:

إلا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشى الذى لا تنالهُ ... إذا ما هو أحلوطا إلا ليت ذاليا
ونحن منعنا بالفروق نساءنا ... نصرف عنها لاتِ غوائيا
جائت لهم والخيل تنمى نحورها ... تزايلكم حتى تهرُّوا العواليا

عــوالى زرقًــا مــن رمــاح ردينــةٍ ... هريــز الكــلاب يــتقين الأفاعيــا
تفــاديتمُ اســناه نيــبٍ تجمَّعــت ... علــى رمّــة مــن العظــام تفاديــا
ألم تعلمــوا أن الاســنة أحــرزت ... بقيتنــا لــو أن للــدهر باقيــا
ونحفــظ عــورات النــساء ونتقــي ... علــيهن أن يلقــين يومًــا مخازيــا
وإنــاً أبينــا أن تــصب لثــانكم ... علــى مــشرفاتٍ كالظبــاء عواطبــا
وقلت ارمة قد اخطر الموت نفسهُ ... إلا مــن لامــرٍ حــازمٍ قــد بــداليا
وقلت لهم ردوا المغيرة عن هوى ... شــواحطهِ وأقبلوهــا النواصــيا
وإنــا نــردّ الخيــل تحكــى رؤوســها ... ورؤوس نــساء لا يجــدن فواليــا
فمــا أن وجــدنا بــالفروق أثابــةُ ... ولا كَــشفًا ولا دعيتــا مواليــا
تعــالوا مــا تعلمــون فــإنني ... أرى الدهر لا ينجى من الموت ناجيًا

ومضى القوم حتى نزلوا ببنى عامر ثم ربيعة بن قرط أحد بنى بكر بن كلاب فحالفوه وأقاموا هناك ما شاء الله وفى ذلك يقول قيس بن زهير:

أحــاول مــا أحــاول ثــم آوي ... إلى جــارٍ كجــار أبــى دُوّادِ
منيــعٌ وســط عكرمــة بــن قــيسٍ ... وهــوبٌ للطريــف وللــتلاد
كعــانى مــا خــشيت أبــو هــلالٍ ... ربيعــة فانتهيــت عــن الأعــادي
تظــلُّ جــوادهُ بــسر بــن حــولي ... بــذات الرمــث كالحــدا الغــوادي

ثم أن بنى ذبيان نحروا بنى عامر وعندهم عبس فاسر طلحة عبس وحلفاؤها وتناعض الجيَّان ونادى الربيع بن زياد من يبارز فقال سنان بن أبى حارثة أدعوا إلى أبنى فأتاهُ أبنهُ هَرِم بن سنان فقال لا فاتاه أبنهُ خارجة قال لا وكان أبنهُ يزيد مجزم فرسه فاتاه وبرز للربيع بن زياد فدخلت بينهم الناس وأتى من بيحان مايتى بعير فداء أبنهِ وتولى الصلح بينهم عوف ومعقل أبنا سبيع بن عمرو من بنى ثعلبة فاصطلحوا وتعاقدوا فقال عوف بن خارجة بن سنان أما إذ سبقنى هذان الشيخان

إلى الحمالة فهلم إلى الظل والطعام فنصب الخيام ونحروا طعم وصدر القوم على الصلح بعدما امتدت الحرب بينهم سنين كثيرة وكان ابتداؤها سنة خمسماية وثمان وستين للمسيح.

انتهى